(تأملات في سورة الأنفال)

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله (صلى الله عليه وعلى أصحابه وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد. فإننا نستعين الله جل وعلا في تفسير كلامه جل وعلا كرةً أخرى... وكنا قد انتهينا في اللقاء الماضي إلى سورة الأعراف وسنشرع اليوم في تفسير سورة الأنفال على أننا قبل أن نشرع فيها نذكر ببعض مما كنا قد تأملناه حول سورة الأعراف التي تمت دراستها عبر درسين، وكنا قد ذكرنا في اللقاء الماضي أن الله جل وعلا ذكر ثلة من أنبيائه ورسله بسورة الأعراف بدءاً بنوح وانتهاءً بموسى عليهم السلام ووقفنا عند اثنين منهم هما لوط وموسى عليهم الصلاة السلام وذكر نا عن قوم لوط أن الفطرة انتكست عند هم فكانوا يأتون الذكران من العالمين ولذلك لم يكن بينهم وبين رسولهم أخذ ولاعطاء فإن الله جل وعلا ذكر أن الأنبياء أخذوا وأعطوا وتحاوروا مع من بعثوا إليهم من الأمم فقوم ثمود قالوا لصالح:(ياصالح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا...)

*قالوا لصالح :(قد كنت فينا مرجواً قبل هذا)

*وقال قوم شعيب كذلك قريباً منه. إلى غير ذلك مما ذكره الله من محاورات الرسل لأممهم وأما قوم لوط مما انتكست الفطرة عندهم، لم يكن لديهم عقل يحاورون من خلاله قال الله عنهم أنهم قالوا:(وماكان جواب قومه إلاَّ أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون)فعاملهم الله جل وعلا بلمثل قال الله تبارك وتعالى:(فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود)وهذه الأيه في هود ثم ذكرنا بعضاً مما كان من خبر نبي الله موسى مع فرعون وآله أوفرعون وملائه وذكرنا أن الله جل وعلا قال عنهم(وقالوا مهما تأتنابه من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين*فأرسلناعليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدَم...)فهذه خمس آيات،وقال قبلها جل وعلا:(ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات)هذه اثنتان مع الخمس سبع آيات وبقيت اثنتان هما .الأول:العصا . والثاني:اليد . فهذه تسع آيات التي قال الله جل وعلا عنها أنه بعث بها موسى إلى فرعون وملائه والقرءآن ينظر إليه جمله واحدة ويفسر بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاًوكله كلام رب العالمين جل جلاله. كما ذكرنا أن قول ربنا جل وعلا: (وأرسلنا

عليهم الطوفان و الجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات)
أن كلا من كلمتي آيات وكلمه مفصلات أعطت معنا فقلنا إن كلمه آيات دلت على أمر خارج عن المألوف لأن الجراد والقمل والضفادع يوجد في كل زمان ومكان لكن الله جل وعلا جعل وجودها في زمن موسى آيه له خارقه عن المألوف وقوله تبارك وتعالى "مفصلات"يدل على أنها كانت لم تكن جملة واحدة وإنما كانت يتبع بعضها بعضا وكان بينهم مرحله زمنيه ثم قلنا إن الله جل وعلا قال: (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة......)وقلنا إن القاعده في ذكر الأيام والليالي أن الأيام تحسب بها المنافع الدنيويه فالمزارعون مثلا إنما يحصدون بناء على البروج الشمسيه وليس لهم علاقة بالأهلة وأما الأهلة والليالي فإنما يحسب بها المناسك الدينيه قال الله جل وعلا: (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) وهذه قلنا فيها فائدة كبرى أن يعرف الإنسان أن ما يتعلق بالأيام فيه المنافع الدنيويه وما يتعلق بالليالي فيه المنافع والمناسك الدينيه ثم قلنا إن الرب تبارك وتعالى قال :
(وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين * ولما جاء موسى لميقاتنا....) فذكرنا أنه كان هناك ميقاتان:ـ
فالأول: ميقات مكاني..
والثاني: ميقات زماني..
الميقات المكانيي:الوادي المقدس أو بتعبير أقرب جبل الطور قال الله جل وعلا في سورة القصص:(وما كنت بجانب الغربي إذا قضيناإلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين)والجبل الطور هو الجبل الذي كلم الله عنده موسى مرتين المرة الأولى: في أول أيام الوحي..والمرة الثانية: في وقت الميقات الذي وعده الله جل وعلا إياه هذا هو الميقات المكاني أما الميقات الزماني فإن الله كلم عبده موسى بن عمران في اليوم العاشر من ذي الحجه فإن الله وعده ثلاثين يوماً عند جماهير العلماء هي ثلاثين شهر ذي القعده ثم زاده الله عشراً قال الله:(فتمت ميقات ربه أربعين ليله)فاليوم الأربعون:هو اليوم العاشر من ذي الحجة المتمم لثلاثين ذي القعده وعشرذي الحجه ثم قلنا:(فلما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربي أرني أنظر إليك)رغب عليه السلام في مقام الرؤيا بعد أن أعطي مقام التكليم فقال الله جل وعلاله:(لن تراني) وقلنا إن رؤية العبد المؤمن للرب جل وعلا تكلمنا عنها في الدنيا وفي الأخره وقلنا يحرر الخطاب على أنه يقال: أن رؤية الله جل وعلا في الدنيا جائزة عقلاً ممتنعة شرعاً ومعنى قولنا جائزة عقلاً: أنه يمكن بقدرة الله أن يعطي

الله عباده قدره على أن يروا ربهم في الدنيا لأن الله على كل شيء قدير فهذا لاينافي العقل لكن أخبر في كتابه أن هذا لن يقع إذ قال لكليمه موسى:(لن تراني)فقلنا إن وإن كانت جائزة عقلاً إلا أنها ممتنعه شرعاً هذا في الدنيا أما في الأخرة: فقد قلنا مادامت جائزة عقلاً في الدنيا فمن باب أولى أن تكون جائزه عقلاً في الأخره لأن الأبصار في الأخره أقوى منها في الدنيا قال الله جل وعلا(فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ...) ولكنا قلنا : إنها في الدنيا ممتنعة شرعاً ونقول في الآخرة واقعة شرعاً للمؤمنين في الجنة وقد نص القرآن والسنه على هذا قال الله جل وعلا في سورة القيامه:(وجوه يومئذ ناضره) بالضاد أخت الصاد والمعنى تعلوها النظره (إلى ربها ناظره) أي تبصر ربها من غير إحاطه لأن الله يقول:(لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) فالله جل وعلا لايدركه بصر خلقه على هذا ماتحرر... وقلنا: إن من العلماء من قال أنها ممتنعة في الدنيا والآخرة وهذا قول (المعتزلة) وقلنا نص عليه جار الله الرمخشري في تفسيره المشهور باسمه: (تفسير الكشاف) فإنه قال إن العباد لايرون ربهم لافي الدنيا ولافي الآخرة واحتج بحرف النفي (لن) وقلنا الجواب العلمي أن يقال أن الله جل وعلا قال عن اليهود أنهم لايتمنون الموت فقال عنهم:(ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم) أي الموت ومع ذلك قال الله عن أهل النار واليهود قطعاً من أهل النار قال :(وقالوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) يتمنون الموت فدل على أن (لن) هنا تجري على أحكام الدنيا لاتجري على أحكام الأخرة ثم إن النصوص الصريحة في رؤية المؤمنين لوجه ربهم لايمكن تأويلها ولادفعها بحال في رؤية وجه ربهم تبارك وتعالى منها آيه القيامة التي مرت معنا ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين وغير هما (إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته)منَّ الله علينا وعليكم برؤية وجهه الكريم ثم قلنا بعد ذلك أن الله جل وعلا قال لموسى: (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما ءاتيتك وكن من الشاكرين) وقلنا إن هذه الكلمه [على الناس]ليست على إطلاقها وإن من الآله العلميه في تفسير كلام الله أن يكون الإنسان مطلعاً على اللغة مطلعاً على الأحاديث مطلعاً على التاريخ فقول الله جل وعلا لموسى: (إني اصطفيتك على الناس) لا يمكن أن تكون على اطلاقها لعموم الناس لأن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من موسى عليه السلام بالإتفاق فموسى عليه السلام أفضل أهل زمانه أما من

قبله فإبراهيم أفضل من موسى بل إن موسى عليه السلام من ذريه إبراهيم جميع الأنبياء الذين من بعد إبراهيم من ذرية إبراهيم باستثناء لوط على الخلاف أنه ابن أخيه لأن الله قال: (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) وما بعث نبي من الأنبياء كما بُينَ هذا في غير درس ولا أُنزل كتاب من السماء إلا على رجل من ذرية إبراهيم المقصود أن موسى عليه السلام أفضل أهل زمانه لكنه ليس أفضل من كان من قبل فإبراهيم أفضل منه ولا أفضل من بعد لأن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل كلهم. هذا ما انتهينا إليه حول سورة الأعراف ونشرع اليوم إن إنشاء الله تعالى في تأمل خمس آيات من سورة الأنفال وقد جرت العاده أننا نقدم السوره بأكملها قبل أن نشرع في تفسيرها سورة الأنفال سور مدنية ونقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : أن قول الله جل وعلا: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ...)هذه مكيه والله أعلم . لكن السورة في جملتها سورة مدنية وهي من أوائل السور المدنية التى نزلت . ومن أواخر السور المدنية التي نزلت سورةالتوبة.وكلتا السورتين عنيتا بالغزوات بالذات سورة الأنفال . فسورة الأنفال تكلمت عن بدر ولذلك يقولوا بعض العلماء إنها سورة (مدنية بدرية)أما التوبة فتكلمت عن غزوة تبوك وجيش العسرة وهذا كان في السنة التاسعة والنبي صلى الله عليه وسلم مات في العاشرة على هذافالتوبة من آخر ما أُنزلَ جملة من السور المدنية والأنفال من أوائل ما نزل من السور المدنية (مدنية بدرية) وحتى نفقهه هذه السورة نزلت بعداختصام المسلمين في غنائم بدر وحتى تكون أنت في إطارعلمي حول السورة الرسول علية الصلاة والسلام خرج بأصحابه إلى بدر وكان أول أمره يريد عير قريش وقال لأصحابه لعل الله أن ينفيكموها))أي يهبها لكم فلما نجا أبو سفيان بالعير وجاءت قريش تحاد الله ورسوله التقى الجمعان في يوم الفرقان في بدر في الموضع المعروف ما بين مكة والمدينة .وهوإلى المدينة أقرب، وقعت المعركة وهي أول معركة وقعت في الإسلام (يمكن أن تطلق عليها غزوة بالمعنىالحقيقي)وكان قبلها بدرالصغرى لكن لم يقع فيها قتال ووقعت تلكٍ المعركة وأعلى الله فيها كلمة الإسلام ونصرالله جل وعلا محمداًصلى الله عليه وسلم وأصحابه وردالله القرشيين ردهم على آدبارهم فغنم المسلمون غنائم هذه الغنائم أن الجيش بعدالغزوة في آخر الغزوة انقسم إلى ثلاثه أقسام:.

1/قسم أخذ يحرس النبي صلى الله عليه وسلم خوفاًعليه أن يأتيه أحد من المشركين.
2/وقسم أخذ يجهزعلى من بقي ويتبع فلول أهل الإشراك.
3/وقسم أخذ يجمع الغنائم.فلما انتهى الأمروووقع من وقع من القرشيين في الأصل وقتل منهم من قتل وفر منهم من فر انقضت الحرب ووضعت الحرب أوزارها اختصم المسلمون في الغنائم ممن يأخذها هل أولى بها من حرس النبي عليه الصلاة والسلام أومن جمعها أومن تبع فلول أهل الإشراك.فلما اختصموا فيها لجأواإلىالنبي صلى الله عليه وسلم يسألونه فقال الله:
((يسألونك عن الأنفال))قبل أن نشرع في تفسيرالأية النفل هو: الزياده علىالأصل،فالغنيمه:زيادة علىالنصرفي المعركه لأن المطلوب الأول في المعركه النصر فالغنيمه زيادة عليها وولد الولد زيادة على الولد،
ولذلك قال الله عن يعقوب لأن من ذرية اسحاق قال عن إبراهيم (ووهبنا له يعقوب نافلة)أي زيادة على اسحاق لأن اسحاق بن إبراهيم ،فوهب الله يعقوب زياده لإبراهيم على إسحاق الذي هو ولده،فأصبح وهبه ولد الولد والسنن التطوع (صلاة التطوع)زيادة على الفريضة ولذلك تسمى الأولى فريضة ويسمى مايزاد عليها نافله قال الله تعالى:(ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) فهذا أصل كلمة:نافله في اللغة وإيرادها في الشرع إذاً السؤال هنا عن أي نافلة؟ عن الغنائم والغنائم زيادة على النصر نقسم معنى الغنيمه ومعنى الفيء؟
الغنيمة:ماناله المسلمون من عدوهم بسعي وإيجاف خيل وركاب. وماناله المسلمون من عدوهم من غير سعي ولاإيجاف خيل ولاركاب كخراج الآراضين أو جزية الجماجم هذا يسمى فيء .إذاً يوجد قسمان يناله أهل الإسلام هما الغنيمة والفيء
والمقصود بالأنفال: غنيمة المسلمين يوم بدر بإجماع العلماء أن قول الله جل وعلا:(يسألونك عن الأنفال) أي ماغنمه المسلمون يوم بدر وقلنا إن هذه السوره(مدنيه بدريه) نأتي لكلمة (يسألونك) وردت في القرءآن مراراً مرة بدون واو ومرة بالواو قال الله جل وعلا في البقرة(يسألونك عن الأهلة) وقال جل وعلا في البقرة أيضاً:(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) وقال جلا وعلا:(يسألونك عن الخمر والميسر...) هذا كله بدون واو وقال جلا وعلا في المائدة :(يسألونك ماذا أحل لهم...) وقال تبارك وتعالى الأعراف (يسألونك عن الساعه...) وقال جل ذكره في الأنفال:(يسألونك عن الأنفال...)وقال تبارك وتعالى في الإسراء: (يسألونك عن الروح) وقال جل وعلا في الأحزاب:(يسألك

الناس عن الساعه) وقال تبارك اسمه في النازعات (يسألونك عن الساعه) فهذه سؤلات وردت من الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم من غير واو وجاءفي القرءآن يسألونك مقرونة بالواو قال الله تعالى في البقرة:(ويسألونك ماذا ينفقون) وقال جل وعلا في البقرة :(ويسألونك عن اليتامى) وقال جل ذكره في البقرة: (يسألونك عن المحيض) وقال جل ذكره في الكهف : (يسألونك عن ذي القرنين) وقال تبارك وتعالى في طه: (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا)فهذا ماتحرر بالواو وما قبلها تحررمن غيروا وبعض العلماءيقول:إن الفرق بينهما:أن يسألونك إذا لم تكن مقترنه بواو يكون السؤال قد وقع من الصحابه وإما إذاكان مقترناًبالواو فإن الله يخبر به لعلمه جل وعلاأنه سيقع والله أعلم .وأنا أقول إذا قلت والله أعلمأو سكت،معناه:أنالاأرجح في المسألة إذا لم نرجح معناه: أن الأمر لم يثبت لدينا بياناً شافياًفيه كدليل والله أعلم، هذامعنى حول كلمه:(يسألونك)كان المفترض:(الله يقول:(يسألونك عن الأهله)الله قال بعدها (قل هي مواقيت للناس والحج)و(يسألونك ماذا ينفقون)(قل ماأنفقتم من خير فللوالدين والأقربين)(ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا)(ويسألونك عن الروح)(قل الروح من أمر ربي) يأتي الجواب مباشرة.لكن هنا:.قال الله (يسألونك عن الأنفال)ولم يأتي جواب جاء الجواب بعد أربعين آية،أي في الآيه(41)قال الله:)واعلمواأنماغنمتم من شيءفأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم ءامنتم بالله وماأنزلناعلى عبدنا يوم الفرقان يوم يلتقى الجمعان والله على كل شيء قدير)جاءالجواب بعد أربعين آية وهذا من تربية الله للصحابة؛لماذا؟الخطأمن الرجل العظيم ليس كالخطأمن هو أقل منه ترى شاب يلعب بالكرة والمغرب يؤذن لايجوز لكن لأنه شاب تأتيه بيسرلأنك تعرف من عين القدر ومن عين الشرع هذاشاب،فتأديه باللين لكن لايقبل أن تأتي رجل إمام مسجد والآذان يؤذن وهو يلعب كرة.ما يمكن أن تقبل.فيكون تأنيبك للأمام ليس كتأنيبك لشاب... صفوة الأمة هم أهل بدر.والنبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر: أما علمت أن الله أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم)والبدريون هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، المهاجرون/الذين تركوا ديارهم وأهليهم في مكة من أجل نصرة الدين.والأنصار/الذين قبلوا أن يأتوا هؤلاء من مكة فيؤونهم ويحمونهم ويتقاسمون معهم الأموال والله يقول:((والذين تبوءا

الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)) فهم هؤلاء رضي الله عنهم وأرضاهم من المهاجرين والأنصار أعظم أصحاب النبيين على الإطلاق وهم صفوة الأمة والرسول صلى الله عليه وسلم قال في ليلة بدر ينظر إليهم ثلاث مائة وأربعة عشرا رجلاً قال اللهم))إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً)). فهم رضي الله عنهم وأرضاهم خير أهل الأرض بعد النبيين والمرسلين. فهؤلاء الصفوة يأتي منهم أنهم ما إن تنتهي المعركة يختصمون فيما بينهم على الغنائم أمر لايقبل . فرباهم الله جل وعلا وعاتبهم عتاباً شديداً قال:

((يسألونك عن الأنفال)) ولم يقل هي كذا وكذا وكذا(قل الأنفال لله وللرسول)) أي ليس لكم فيها أي اختصاص والصحابه يعلمون أن كل شيء أمره لله وللرسول عليه الصلاة والسلام يحكم فيه لكن أراد الله أن يؤدبهم(قل الأنفال لله والرسول فاتقوا)إذا علمت هذا أن الله قال في حق بدر (أهل بدر) (فاتقواالله) وقال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم في سورة الأحزاب :((ياأيها النبي اتق الله)) إذاًلا يستكبر أحد عن كلمة اتق الله ولا يوجد أحد فوق مستوى النقد كل إنسان عرضه للخطأ وكل إنسان يخطئ يُنقد ويقال له أخطأت ولو كان منزلته أيا كانت،لكن كيف تنقده يختلف، فلا تأتي لإمام مسجد أمام عشرات الناس يصلون وراءه والمئات وتقف تنقده أمام الناس ،هذا ليس من النصيحة في شيء ،ولا تأتي لمعلم أمام طلابه وتوبخه أو تنهره أمام طلابه ولا تأتي لأمير ولا حاكم في خطبة جمعه،تنقده لتذهب هيبته في الناس ولاتأتي لأب تنقده أمام أولاده ولاأم أمام بناتها،من أخلص النية في النقد سيوفق في الطريقه السليمه التي ينقد بها،لكن هنا لماذا اختلف الأمر لأن المعاتب هنا الله،فألمسألة تختلف جذرياً،ليس اختلاف كفؤ لكفؤ ليست نقد كفؤاً لكفؤ،وإنما هذا عتاب من الله لأهل بدر فقال الله جل وعلا لهم:"يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم"أنتم انتصرتم على المشركين والأهم أن تنتصروا على ما في النفوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ليس الشديد بالصرعه وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"انتصار الإنسان على هوى نفسه وعلى شهواته وعلى حبه للمال ولحب لأن يكون أفضل من غيره وما يدفعه للإستئثار بالشيء هذا الذي ينبغي أن ينتصر عليه فإذا انتصر الإنسان على شهواته نفسه وحبه للكبروالاستعلاءعلى الغيرحقق الإنتصارالعظيم فالله يقول لنبيه ولأصحابه:(فاتقواالله

وأصحوا ذات بينكم) فالصلح:وصفه الله جل وعلا بأنه خيرويقع على عدة طرائق:أولاً: يقع الصلح مابين أهل الإيمان وأهل الكفر ودليله من نفس السوره(وإن جنحوا للسلم فا جنح لها وتوكل على الله) وهذا مرده لولي أمر المسلمين.ثانياً: وصلح يقع مابين فئتين من أهل الإسلام تحترب فيسعى ما بينهمافي الصلح قال الله تعالى:(وإن طائفتان من المؤمنين اقتلوا فأصحوا بينهما).ثالثاً:وصلح يقع مابين الزوج والزوجه قال الله فيه: (فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما....)رابعا: وصلح يقع ما بين الرجل والرجل في خصومات ماليه وهذا لابد فيه من التنازل أي صلح لا بد فيه من التنازل إن لم يتنازل كلا الطرفين عن بعض حقه لا يسما صلح والسعي بين الناس في الصلح من أعظم طرائق الخير قال الله جل وعلا: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس) فالسعي في الإصلاح حتى مما يجوز الكذب فيه شرعا فالصلح بين الناس مما يجوز الكذب فيه شرعاً... فنعود إلى قول ربنا جل وعلى: (فأصلحوا ذات بينكم)أي كونوا أمة متحابة متآلفة لا تفرق بينكم الدنيا ولا الغنائم وهذا تربيه لصفوة الأمة وهم أهل بدر من لدن العليم الخبير جل جلاله (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله والرسول إن كنتم مؤمنين) قبل أن نأتي الآية التي بعدها ننتقل إلى الآية الإحدى والأربعين التي فسرت هذه الأية ثم بعد ذلك بين ألله جل وعلا قسمة الغنائم فقال: (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم ءامنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير)هنا قسم الله الغنائم ،حب المال فطرت عليه النفوس،الله يقول:(وتحبون المال حباًجماً)وقال:(وإنه لحب الخير لشديد)وتفسير الخير هنا/المال والله يتكلم عن الإنسان فلا يعقل أن كل الناس يحب الخير الخيرالمعروف الذي هو ضد الشر،لكن الله هنا يتكلم عن المال، (وإنه لحب الخير لشديد)ولذلك لما علم الرب جلاوعلا أن النفوس جبلت على حب المال كان المال الذي يأتي للمسلمين على ثلاثة طرائق:.وكل هذه الثلاث تولى الله جل وعلا بنفسه تقسيمها ولم يكلها إلى أحد ولا إلى نبيه صلى الله عليه وسلم.وهذه الثلاث:.أولاً:الميراث.ثانياً:الغنيمة في الحرب.ثالثاً:الصدقات(الزكاة)والجزيه تدخل في الغنيمه.فهذه كلها تولى رب العالمين تقسيمها فالله جل وعلا قسم المواريث وأعطى كل ذي حق حقه،وقسم جل وعلا الغنائم.قال(واعلموا

أنما غنمتم...)إلى آخر الآيه.وجاء إلى الزكاة الشرعية وقال:(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)فهذه الثلاثة.(المصادر المالية)لم يكل الله تقسيمها لأحد وتولى جل وعلا تقسيمها بنفسه لعلمه تبارك وتعالى بحب الناس وتقاتلهم على المال جعلنا الله وإياكم ممن المال في يده وليس في قلبه ، الذي يعنينا / أن هذا الأمر تولى الله جل وعلا قسمة الغنائم . فجعلها تبارك وتعالى ، جعل الخمس لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)وقد اختلف العلماء في التوزيع لكن نختار منها قول مالك رحمه أنه يسند أمرها إلى الإمام فيعطي القرابة مايراه مناسباً لهم ويقسم الباقي ويضعه في المجاهدين الذين معه ، بالطريقة التي يراها مناسبة وقالوا : إن هذا فعل الخلفاء الأ ربعة من بعده صلى الله عليه وسلم نأتي هنا إلى قضية : تقسيم الغنائم على ذوي القربى ، والمقصود بذوي القربى/ قرابة النبي صلى الله عليه وسلم لما قال الله))واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى)) أي قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، واختلف العلماء في قرابة النبي صلى الله عليه وسلم الذين يتم تقسيم خمس الغنائم عليه ،على ثلاثة أقوال :ـ
أولاً:قول أنهم قريش كلهم.باعتبارأن النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وهذا أضعف الأقوال .ثانياً:وقول آخر: أنهم بنوهاشم فقط وهذا قول مالك رحمه الله والأوزاعي ومن تبعهما من العلماء . ثالثاً:وذهب الإمام أحمد والشافعي وكثير من العلماء وهو الصحيح إن شاء الله أن المقصود بهم بنو هاشم وبني المطلب وليس عبدالمطلب . تفصيل هذا علمياً :.أن النبي صلى الله عليه وسلم اسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، هذا هاشم ابن عبد مناف هذا عبد مناف والد هاشم ترك أربعة: ترك هاشماً وعبد شمس ونوفل والمطلب ، ليس عبد المطلب ، هؤلاء أربعة أبوهم واحد.هو عبد مناف،أصبحوا إخوة الأربعة النبي صلى الله عليه وسلم جاء من هاشم فالآن بنو هاشم استحقوا الخمس لأن نسب النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أمر معروف.بقينا في الثلاثه:.
1/المطلب.
2/ونوفل.
3/عبد شمس.
تركوا أبناءلما جاءت قريش وحاصرت بني هاشم في شعب بني طالب حاصرت النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته من بني

هاشم في الشعب وكان لهم ثلاثة أبناء عمومه لهم بنو المطلب،وبنو عبد شمس وبنو نوفل.بنو عبد شمس وبنو نوفل اتفقوامع قريش،بقينا في بني المطلب فقد دخلوا مع بني هاشم في الشعب ليناصروهم،فحفظها النبي صلى الله عليه وسلم لهم،فلما جاء يقسم الغنائم بعد خيبر جاءه من ذرية عبد شمس عثمان بن عفان رضي الله عنه وجاءه من ذرية نوفل/جبير بن مطعم رضي الله عنه وقالا يارسول الله لما وزع الغنائم أعطى بني المطلب وأعطبني هاشم قالارضي الله عنهما يارسول الله:كونك تعطي بني هاشم هذه لا نعترض لأن الله عزهم بك لكن ما دمت أعطيت إخواننا من بني المطلب فنحن وبني المطلب إخوة فلماذا فرقت بيننا؟فقال صلى الله عليه وسلم: (إن بني المطلب لم يفارقونا في جاهلية ولا في إسلام)لأنهم دخلوا معهم في حصار الشعب.ثم شبك بين أصابعه،وقال:إنما بنوالمطلب وبنو هاشم شيء واحد.فأصبح هذاالحديث حجه ظاهره في أنهم يعطون من الخمس كما يعطي بنوهاشم.وفيه مثل يقول:إذا جاء سيل الله بطل سيل معقل.فما دام هذا الحديث نص في الموضوع يعتذر الذين قالوا أنها محصورة في بني هاشم أوعامة في قريش كلها.هذا توزيع الغنائم كما أمر الله جل وعلا وقد بيناه. نعود للسورة الآن .قال جل وعلا ذلك ، بعد أن ذكرنا قضية بدر. وقلنا إن معركة بدر هي أول معركة بين أهل الحق وأهل الباطل .بين المسلمين وبين الكفار. والنبي صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر بعد أن ألقي فيه الجمع منهم وأخذ يسألهم هل وجدتم ماوعد ربكم حقاً ، فأني قد وجدت ماوعدني ربي حقا،فجاءه عمررضي الله عنه وقال يارسول الله : كيف تكلم أقوام قد جيفوا فقال: يا عمر ماأنت بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لايملكون جوابا قال حسان :

فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا
أصبت وكنت ذا رأي مصيب

لكن كتب الله عليهم ما كتب عياذاً بالله هذه معركة بدر وهذه سورة الأنفال التي نزلت تبين الموقعة وتذكر جهاد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في تلك المعركة.نعود للسورة نفسها ثم قال الله جلا وعلا انتهى من هذه القضية يربي عباده الصالحين على الإيمان قال:"إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم ءاياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون*الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون *أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم"ذكر الله جل وعلا هنا أصحاب المنازل العالية من أهل

الإيمان،المقربون ، أهل الدرجات الرفيعة ،أهل الإيمان الحق الذين اصطفاهم واجتباهم سواء من النبيين أو من أتباعهم إلى يوم الدين.فلم يذكر الله أعياناً باسمائها وإنما ذكر صفات يتحلون بها،جعلتهم مؤمنين حقاً،فقال في أولها " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم " والوجل هو الخوف والمعنى: أنهم يصيبهم من الخوف والوجل والطمع والرغبة فيما عند الله ما تقشعر له الأبدان وترتجف له القلوب ثم لا تلبث قلوبهم أ ن تسكن وجوارحهم أن تهدأ بعد ذكر الرب تبارك وتعالى وهذا من أعظم دلائل الإيمان أن يجل قلب المؤمن إذا ذكر الله تبارك وتعالى وهذا من أعظم دلائل الإيمان أن يجل قلب المؤمن إذا ذكر الله تبارك وتعالى فإذا خوف بالله خاف وإذا ذكربالله ذكر وإذا اتعظ بالله وعظ وإذا قيل له اتق الله لم تأخذه العزة بالإثم هذا الذي قال الله عنهم (إنما الؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم....)ثم قال: وإذا تليت عليهم ءاياته زادتهم إيمانا) فالإيمان يزيد وينقص ينقص بالمعاصي ويزيد بالطاعات وأن مما يزيد إيمان المؤمن تلاوة كلام الرب جلا وعلا بل هذا من أعظم مايزيد الإيمان قال الله تعالى:(وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلاخساراً) والمؤمن ينبغي عليه أن يكون يومه خيرمن أمسه وغده خيرمن يومه، يزداد إيماناًكلما تلى هذا الكتاب العظيم وعلم أن هذا القول قول الله جل وعلا وهذه مناقب ذكرها الله جلا وعلا في الأنبياء وذكرها الله جل وعلا في الرسل وذكرها الله جل وعلا في العامة.قال الله في الأنبياء: (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم ءايات الرحمن خروا سجداًوبكيا)وقال جلا وعلا عن أهل العلم:"قل ءامنوا به أولا تؤمنوا إن الذين أتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً* ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا* ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً) وقال الله عن عامة الناس (إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا ءآمنا فاكتبنا مع الشاهدين *ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين* فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهارخالدين فيها وذلك جزاء المحسنين)) فالمؤمن يحاول قدر الإمكان أن يرقى بنفسه إلى مستوى من وصفهم الله ونعتهم من أهل الدرجات العالية ممن وعدهم الله جنانه ومغفرته والرزق الكريم ،جعلني الله وإياكم منهم. ثم قال جل ذكره (وعلى ربهم يتوكلون) وهذا

متصل بما قبله فإن من رزق الإيمان ومعرفة الله وما لله من كمال عظيم الرحمة وكمال القدرة وجلال العطاء وأن الله جل وعلا لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وأنه يجيب من دعاه ويؤي من لجأ إليه وأنه لا ملجأ ولا منجأ منه تبارك وتعالى إلاإليه صدق توكله على الله ، فذكر الله جل وعلا في الأول ثلاثة من صفات القلوب وهي:أولاً:الوجل أي الخوف . ثانياً:ثم ذكر زيادة الإيمان ثالثاً:ثم ذكرالتوكل وكلها أعمال قلوب . ثم انتقل جل وعلا إلى أعمال الجوارح وقال:(والذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) والصلاة أعظم ما افترضه الله جل وعلا على عباده وخلقه بعد الشهادتين بها يتقرب العبد إلى ربه ولذلك فرضت الصلاة في رحلة الإسراء والمعراج فلما كان صبيحتها كما قال سعيد بن جبير وغيره. صبيحة ليلة الإسراء المعراج بعد أن زالت الشمس يعني عند حلول وقت الظهرنزل جبريل من السماء فأم النبي صلى الله عليه وسلم عند البيت فكانت أول صلاة فرضت من الصلوات الخمس صلاة الظهر أمَّ بها جبريل نبينا صلى الله عليه وسلم ليومين متتاليين صلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر في أول وقته ثم صلى به كرة أخرى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر في آخر وقتها وقال له بعد ذلك وهو يعلمه الصلاة ما بين هذين الوقتين أي ما بين هذين كله كله صلاة. والمؤمنون حتى في الصلاة يختلفون: من الناس والعياذ بالله من لا يصليها وهذا محال أن يطلق عليه مؤمن ومن الناس والعياذ بالله من يصليها في بيته من غير عذر ومنهم من يأتي إلى الجماعة ومنهم من هو أرقى درجة وأرفع منزله يسابق إلى التكبيرة الأولى قال صلى الله عليه وسلم كما عند الترمذي بسند حسنه العلامة الألباني رحمه الله:((قال من صلى لله أربعين يوماً يدرك التكبيرة الأولى .(أي تكبيرة الإحرام) كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق)) وفقنا الله وإياكم لهذا العمل ثم قال جل وعلا يختم أعمالهم ((ومما رزقناهم ينفقون)) فالإنفاق مما آتاك الله حسن ظن بالرب جل وعلا وأن الله قادر على أن يعوضك وقد جاء في الأثر. لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله قال:ورجل تصدق بصدقه فأخفاهاحتىلا تعلم شماله ماتنفق يمينه ثم لما ذكر الرب تبارك وتعالى صفاتهم ونعوتهم والسرائر أمرها إلى الله،ذكر الله جل وعلا ما أعد لهم فقال عنهم(أولئك هم المؤمنون حقاً)ولا يعني ذلك أن من لم يبكي بخشية الله ليس بمؤمن، لأن الله يتكلم هنا عن أهل المنازل العالية ولايتكلم عن الإيمان الذي يفرق به من الإيمان

والكفر فربما رجل هذه الخمس تجتمع فيه بعضها،ولا يجتمع فيه كلها فلا يقال عنه/أنه ليس بمؤمن،كل من شهد أن لاإله إلا الله وأن محمداًرسول الله ورضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فالأصل أنه مؤمن،ثم أهل الإيمان يتفاوتون والأعمال قرينة الإيمان لا انفكاك بين الإيمان والعمل الصالح.ثم قال الله(أولئك هم المؤمن حقاً لهم درجات عند ربهم..)أي لهم درجات عالية في الجنة، والجنة لها ثمانية أبواب في صورة أفقية ويأتي عليها يوم وهي كضيض من الزحام وفي داخل الجنة درجات متفاوتة ولقد سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه عن أهل الدرجات العلى فقال الله جل وعلا كما في الحديث القدسي(أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي،فلم تسمع أذن ولم ترى عين ولم يخطر على قلب بشر)وقال الله في سورةالسجدة(فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)والله لو أن ملكاً من ملوك الدنيا أجرى مسابقة وقال لمن يفوزبها أعطيه جائزة يتوقعها لتسابق الناس إليها لعلمهم أن هذا الملك لايمكن أن يعطي جائزة وضيعة يعير بها وأن الناس يتوقعون أن ينال هذا الفائز أعظم شيء مادام الملك قد أخفاه لأن الملك سيعطي على قدر ملكه فكيف إذا كان المانح والمعطي ومخفي الجائزة رب العالمين جل جلاله،من بيده خزائن السموات والأرض وله جل وعلا السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى فقال الله:(أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي)"فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون" كما في الآية.ثم قال:(ومغفرة) دلالة على أن هؤلاء الذين هم المؤمنون حقاً لا يمكن أن يكون قد خلوا من الذنوب كلها هذا محال لا يمكن أن يوجد أحد خلى من الذنوب كلها،كلنا متكلم وسامع ومن قبلنا ومن بعدنا كلنا ذو خطأ ولن ندخل الجنة بأعمالنا لكن المؤمن شبه النبي صلى الله عليه وسلم كالفرس المعقود حبله في مكان ثابت مهما بعد يعود إلى مكانه ، مهما نأى يعود إلى مكانه كذلك المؤمن ،فالمسلم مهما نأت به المعصية أحياناً يفئ إلى ربه ويرجع إلى مولاه ويجدد التوبة ويسأل الله غفران الذنوب ويأتي بالحسنات علَّ الله أن يكفر بها ما سلف من الخطايا قال الله:((إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى لذاكرين)) وإن كنت قد ابتليت بنوع من المعاصي فليس الحل أن تبقى على أن تبقى على تلك المعاصي وتداهن أهلها وتبقى معهم الحل :
أن تتوب وترجع ولأن تلقى الله وأنت خلطت عملاً صالحاً وآخرسيئاً خير لك من أن تلقى الله وليس لك من العمل الصالح

شيء ، والمؤمن حصين عاقل يعلم أن الله يغفر الذنوب ويقبل التوبة والله جل وعلا يقول في الحديث القدسي ((يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأن أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم) فالله جل وعلا وسعت رحمته كل شيء وباب توبته مفتوح وهو جل وعلا يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل فلا انفكاك من التوبة والأوبة والرجوع إلى الله جل وعلا ثم قال سبحانه :((ورزق كريم)) وهذا الرزق جاء بعضه في القرءآن قال الله عن أهل الجنة: ((كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأوتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة)) يقطف أحدهم الثمرة فما أن يقطفها وتقع في يده إلا وتحل محلها أخرى مثلها تماما فإذا أخذوا الثانية ورجعوا إلى الثالثة قالوا : ((هذا الذي رزقنا من قبل وأوتوا به متشابها))كما قال الله ((ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيهاخالدون))اللهم إنا نسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الواحد الأحد الفرد الصمد الحي القيوم الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أنت ربنا لا إله إلا أنت لا رب لنا غيرك ولا إله سواك أنت خالقنا ورازقنا ، ولي نعمتنا وملاذنا عند كربتنا ، نسألك اللهم في هذه الليلة المباركة أن تصلي على محمد وعلى آله وأن تسلم تسليماً كثيرا وأن تغفر لنا ذنوبنا كلها دقها وجلها سرها وعلانيتها أولها وآخرها اللهم تب على من تاب من يارب العالمين اللهم تب علينا جميعاً ياذا الجلال والإكرام اللهم من حضر درسنا هذا يريد أن يتقرب إليك ويسدرف إليك فاللهم تب عليه وأعنه على نفسه يا ذا الجلال والإكرام وأكرم مجيئه يا حي يا قيوم وارزقه التوبه النصوح الصادقه إليك يا ذا الجلال والإكرام اللهم إن لنا من الذنوب والخطايا ما لا يعلمه غيرك ولا يعرفه سواك فاغفر اللهم لنا ذنوبنا أجمعين ياذا الجلال و الإكرام واجعلنا اللهم مباركين أينما كنا لا إله إلا أنت اغفرلنا ولوالدينا ولمن له حق علينا ورزقنا اللهم من فضلك واغننا بفضلك عمن سواك اجعلنا اللهم من افقر خلقك إليك واغنا عبادك بك لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين (سبحان ربك رب العزة عما يصفون *وسلام على المرسلين * والحمد لله ربالعالمين) .